الرد على دليل الصوفية:" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"[1].

يقول ابن عربي في تعليقه على ما أورد:" يريد على علم بذلك فأخبره بمرتبته وهو روح قبل إيجاد الأجسام الإنسانية".

ومثل ذلك قوله:" إنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك، لتعيين المدة المعلومة عند الله، وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة[2] روح مُحَمَّد ﷺ، ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان له وجود في عالم دون عالم الشهادة وأعلمه الله بنوته، وبشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال :"بين الماء والطين"، وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق مُحَمَّد ﷺ إلى وجود اسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر مُحَمَّد ﷺ بذاته جسما وروحا"[3].

هذا الحديث الذي ذكره ابن عربي ولم يذكر له إسنادا قال فيه ابن تيمية:" يروي كثير من الجهال والاتحادية[4]، وغيرهم من أن النبي ﷺ قال:" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" فهذا مما لا أصل له من نقل ولا عقل، فإن أحدا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل: فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد، ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجودا، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك باحاديث مفتراة"[5].

ومن جملة هذه الأحاديث المفتراة الحديث المنسوب إلى جابر رضي الله عنه:" إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره...".

---

[1] الفتوحات المكية (١/١٣٤-١٣٥)، دار صادر.

[2] وهذه الروح تسمى عند الفلاسفة القدماء بالعقل الأول الذي صدر عن الله تعالى بزعمهم عن طريق نظرية فيض الموجودات عن الواحد، ثم صدرت عن هذا العقل بقية الموجودات.

[3] المرجع السابق (١/١٤٣).

[4] الذين قالوا باتحاد ذات العبد بذات الرب تعالى فتصير ذاتا واحدة، انظر: الجرجاني: التعريفات (٨-٩)، د. الحفني: معجم مصطلحات الصوفية (٩).

[5] الرد على البكري (٨-٩).

يقول شارح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب:" ومعنى كونه ﷺ:" أولهم خلقا" أنه جعله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها، وأفاض عليه النبوة من ذلك الوقت، إلى قوله: وشاهد ذلك حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر:" أن الله خلق قبل الأشياء نبيك من نوره..."[٦].

[٦] مُحَمَّد عبد الباري الأهدل: فتح الكريم القريب (١٩).